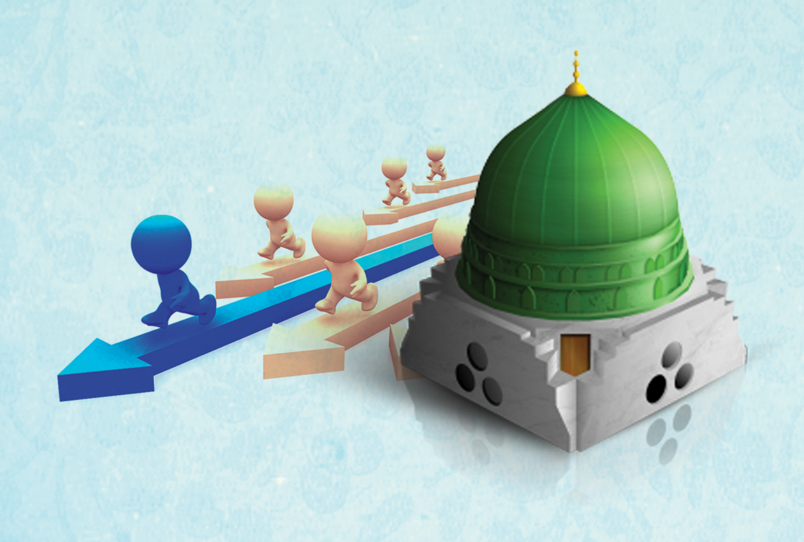
الرسول الأعظم والتنمية البشرية

التراحم أنموذجاً



محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

والتنمية البشرية

التراحم أنموذجاً

محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان





هوية الكتاب

اسم الكتاب: ...**الرسول الأعظمﷺ والتنمية البشرية... التراحم أنموذجاً**

اسم المؤلف: .... محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان

الطبعة : ....الثانية

السنة : ١٤٣٦هـ-٢٠١٤م

المطبعة: .... الكلمة الطيبة - النجف الاشرف/ العراق

الناشر : .... دار البذرة

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله ربِّ العالمين كما يرضى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى وآله النجبا.

وبعد.. فما زالت تتسع فضاءاتُ المعرفة للتأمل في آفاقها، والبحثِ العلمي في موضوعاتٍ غنيةٍ بعطائها النقي، بما يجتذب الباحثين لبذل جهودهم العلمية، ومن ذلك: بحث أدوار المعصومين عليهم السلام في معالجة قضايا حياتية ضاغطة، وما قدموه من الحلول والرؤى، كأطروحة متكاملة لمنهجٍ حياتي يصلح في مختلف الأزمنة والأمكنة والمجتمعات.

وإنَّ هذا البحث يمثِّل محاولة جادة لتحقيق هذا المشروع الفكري، الذي يقوم على مقاربات علمية ومعرفية متنوعة، من أجل التعرّف والتعريف بجهود المعصومين عليهم السلام وجهادهم لتكون أمةُ الإسلامِ ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1]، وجديرةً باتباع نبيها محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي خاطَبَهُ تعالى بقوله:(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

١ – سورة آل عمران، من الآية ١١٠.

لِلْعَالَمِينَ)[٢]؛ تلخيصاً لما يُراد منه ﷺ النهوض به، وتبييناً للهدف السامي والغرض الأهم من إرساله وابتعاثه؛ ولذا ستتم دراسة هذا البُعد في شخصية النبيﷺ وعرض ما يؤكد تجلي مفهوم الرحمة في ممارساته العامة والخاصة؛ إذ تبرز بوضوح في مفاصل حياتية متعددة، ومحطات يومية متنوعة، حتى كانت سمةً ظاهرةً جداً، و هدفاً للبعثةِ والتكليفِ الإلهي بأداء الأمانة؛ مما يمنح الرحمة خصوصية فريدة، فكان من الضروري الوقوف عند هذا الخُلُق الإنساني العظيم، والتعرّف على دلالاته ومعطياته ؛ وذلك بعد الاطلاع على ما بذله نبينا الأعظم ﷺ من جهود في سبيل بث مفاهيم الخير والصلاح والرحمة، وتفعيلها عملياً ضمن ملامح كثيرة، تؤكد دور الرحمة والتراحم، في شد أواصر المجتمع وتقويتها، بروابط متينة محكَمَة، وما تُسهم به من تأثير كبير في شخصية المتحلي بها، والممارس لها، وما تعززه من فاعلية الإنسان في صنع النجاح لنفسه ولغيره؛ لتتحقق تنمية الفرد للمجتمع، ومشاركته الجادة في تهيئة مستلزمات الرُقي والنجاح، بما يغني عن

---

٢ – سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

تلمّس ذلك والبحث عنه في دوائر بعيدة؛ لتوافره في تراث المعصوم ﷺ، لكن لابد من الاهتمام بالكشف عنه وتوضيح معالمه، ثم الأخذ به.

وسيتمحور البحث حول حديث رسول اللهﷺ: (ما ضاق مجلسٌ بمتحابين) [٣]، ليبرز دور استقرارِ العلاقة مع الآخر، وأهمية السعي للابتعاد عما يكدرها ويشنجها؛ فاستقرار علاقة الأطراف من خلال إشاعة المحبة، نواة صلاح المجتمع، وتغلّب أفراده وعقلائه على التحديات، ومواجهتها بما يضمن الخروج من الأزمات الموجبة للتشتت والتباغض.

وإنَّ من بواعث الاستقرار ومؤكداته، إشاعةُ مفهوم التراحم، والتثقيف عليه، ليأخذ مساحته المناسبة في المجتمع، ويُعتمد كإطار عام تشترك فيه مكونات المجتمع المختلفة، ويترسخ في الذهنية الفردية، فيكون من أولويات الجميع: أنَّ ضيق مساحة المكان، لا يعيق الجلساء عن احتواء الآخر، والإفادة من الممكن والمشترك، ثم

٣- الجامع الصغير - جلال الدين السيوطي٢ /٤٩٨، كنز العمال - المتقي الهندي٩/٩، برقم ٢٤٦٧، تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي ٣ /٤٤٥.

السعي في تطوير الحال وتحسينه، دون الرفض المسبق والضيق بالآخر، بل لابد من صيرورة الخطاب العام على أساس وجود الآخر، والانطلاق في العلاقة معه بمحبة و صدق مشاعر؛ ليُتغلب على الطوارئ في العلاقات، المؤثرة على ديمومتها ونقائها.

وإنَّ التراحم بما يمثله من تعاطف قلبي، لمما يغطي مساحة واسعة، لن تستوعبها بدائل كثيرة؛ إذ يتلافى ما يحسه اليتيم، وما يفتقده المحروم، كما لا يستغني عنه غيرُهما من مكونات المجتمع، فهو خير جامعٍ للشتات، وموحدٍ للجماعات؛ لأنه إنْ كان في جوٍ جاذب، فسيؤدي دوره في التلاحم، وإلا فسينشئ المحبة والمودة بين الأفراد، ويسهم في تبرعمها في النفوس والعقول، بمستوى لا تنهض بأدائه الأموالُ أو القوةُ أو إراداتٌ أخرى، بل فرضه واقع ما أشار اليه الرسول الأعظم ﷺ بقوله:(المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلِمُهُ...) [٤]، مما يعتبر ورقة عمل للمسلمين في علاقاتهم، ليتجاوزوا الخلافات الناتجة عن تعددية الفكر والرؤى، مع أنها اختلافات في الآراء وأساليب المعالجات، لا تعني مروقاً عن الدين،

---

٤ – مسند أحمد ٢ /٩١، ونحوه في عوالي اللئالي –الأحسائي ١ –/١٢٨.

ولا خروجاً عن أخلاقيات التعامل مع الآخر، بقدر ما هي مؤشر لوجود أكثر من لون واتجاه مجتمعي، وهو أمرٌ طبيعي، لا يستحق أنْ ينعكس سلباً على تحقيق التطلعات في الانفتاح على الآخر ومعه، من أجل بناء المجتمع، والعمل على تماسكه وألفته.

فأضحى لزاماً إيجاد جوٍّ نقي صالح لتنشئة الجيل، يعالج تلك السلبيات ويتلافاها، و يهذب النفوس ويقيمها على النهج الصحيح؛ استثماراً لقدرات الكفاءات، واستقطاباً للطاقات وتوجيهاً لها نحو ما يرفع المستوى وينمّيه؛ تحقيقاً لما أراده نبينا الأعظم ﷺ من علاقات صالحة تسود المجتمع، وتيّسر (فن النجاح) للفرد، وتؤصل(لتنميةٍ بشريةٍ مستدامةٍ)تشمل قطاعات واسعة، لا تتحدد بمساحة الزمان أوالمكان، بل تهتم بالإنسان لأنه إنسان له اعتباره الكامل، الذي يستحق معه المحبة والمودة والتراحم والتلاحم، لينطلق منها في تعامله مع الآخر، فيتشاطرا المسئولية، ويتعاونا على أداء الرسالة للأجيال المتلاحقة بأمانة، ويبتعدا عن الوسواس الخنّاس، الذي يوسوس في صدور الناس بما يفرِّق الكلمة، ويثير مشاعر الكراهية والتمييز في النفوس، فيصد عن التآلف والتكاتف،

مع أنّ بالوفاقيات غناءاً و سعةً عن الركون الى الخلافيات، بل وما به الاشتراك أكثر مما به الافتراق؛ ولذلك يلزم الاحتكام اليهﷺ والعمل بما أراده من المشاركة في بناء مجتمع صالح، من كلٍ حسب طاقته .

ولما كانت موضوعة التنمية البشرية من الموضوعات المعاصرة، التي حازت اهتمام كثير، واندمجوا في أجواء الحداثة، ولم يتعرفوا على دور نبينا الأعظمﷺ في ذلك، فلابد من تسليط الضوء وتركيز القول على مفردة التراحم كأنموذج لذلك؛ فيتأكد :أنْ لا حلول إلا عند الرسول؛ حيث أئتمنه الله تعالى على الأمة؛ فجعله شاهدها وشهيدها، وكانت له مواقفه التي رشّد بها أفكار الأمة ومتبنياتها؛ ليتبلور الصحيح من بين الركام ؛ وتُتلافى الأخطاء وتُتدارك تبعاتها، فيلزم -عقلاً- الرجوع اليه؛ لأنه ﷺ الرحمة المهداة لِلْعَالَمِينَ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

النجف الأشرف

محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان

٦ المحرم الحرام ١٤٣٦هـ ـــ ٢٠١٤/١٠/٣١م

الفصل الأول

المبحث الأول

التنمية، التراحم ودلالاتهما

التنميـة لغـةً: وزان التفعلـة(٥)، وهـي مـن مشـتقات مـادة(النون والميم والحرف المعتل، أصل واحد يدل على ارتفاع وزيادة، ونمى المال ينمى:زاد...) (٦)، (ونميت النار تنميةً ألقيت عليهـا شـيوعها) (٧)،

٥ – (...قاعِدَةُ التَّفْعلة من كلِّ فعْلٍ على فعل مُعْتَل اللامِ مُضَعّفاً كزكّى تَزْكِيـةً ورَوَّى تَرْوِيةً ، وما لا يُحْصَرُ) تاج العروس، الزبيدي٦٠٧/١٩؛إذ(لا بُدَّ لكل فعْلٍ غَيْـرِ ثلاثـي مـن مصـدر مَقِـيسٍ؛ فقيـاسُ فَعَّـلَ- بالتشـديد- إذا كـان صـحيح الـلام التَّفْعِيـلُ كالتَّسْلِيم...، ومُعْتَلُّها كذلك ولكن تحذف ياء التفعيل وتُعَوَّضُ منها التاء، فيصير وزنه تَفْعِلةَ كالتَّوْصِيَةِ والتَّسْمِيةِ والتَّزْكِيَةِ)أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري١٧٨.

٦ – مقاييس اللغة، ابن فارس ٤٧٩/٥.

٧ – أساس البلاغة، الزمخشري ٩٩٣.

-(وهو ما دقَّ من الحطب)-[٨]، أو(رَفَعَها وأَشْبَعَ وَقُودَها؛ وذلكَ بأَنْ أَلْقَى عليها حَطَباً فذَكَّاها به ...وهو مجازٌ)[٩].

والتنمية اصطلاحاً تختلف باختلاف متعلقها، فالتنمية البشرية:(توسيع لحريات البشر وامكاناتهم، فيعيشون الحياة التي يختارونها وينشدونها، ...يتجاوز حدود الاحتياجات الأساسية الى الكثير من الغايات الأخرى الضرورية لعيش حياة لائقة)[١٠]، فهي عملية تطوير الكفاءات البشرية وتحسين أدائها، بصورة شاملة، في مختلف الميادين الحياتية، مما يشارك كمدخل لحصول عمليات تغيير نوعي في المجتمع، مع المحافظة على أصوله، والمساهمة في الانسجام بين الأفراد، بما لا يتعارض و ثوابت الإنسان النوعية ، فكانت التنمية البشرية: مقاربة تصحيحية متتالية على مدى الزمان ومختلف المكان، وصولاً للأفضل.

---

٨ - المخصص، ابن سيده، ج٣ ق٢ ص ٣٠.

٩ - تاج العروس، الزبيدي ٢٦٤/٢٠، ونحوه (ونميت النار تنمية، إذا ألقيت عليها حطبا وذكيتها به). الصحاح ٢٥١٦/٦.

١٠ -تقرير التنمية البشرية ٢٠١١، الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ص١.

التراحم لغةً: وزان التفاعل الدال على التشارك في الفاعلية والمفعولية، وهو مشتق من (الراء والحاء والميم: أصل واحد: يدل على الرقة والعطف والرأفة...رحمه يرحمه إذا رقَّ له وتعطف عليه)[١١] ، (وترحمت عليه واسترحمته استعطفته، وتراحموا تعاطفوا)[١٢]، فهو كصيغة تدل على توحد الثنائي عملياً؛ لأداء حالة مطلوبة، ضمن السياق العام للمجتمع؛ بحيث لا يؤديها فعل أحاديٌّ؛ إذ لابد من تعدده؛ ليتم المطلوب.

واصطلاحاً: التعاطف بين أفراد المجتمع، بالتواصل -مادياً ومعرفياً- والتزاور والتلاقي والتذاكر وسائر ما يحقق الانسجام العام، والتغلب على الكثرة المفرقة، بتقارب نفسي، ذي فاعلية على طي المسافة؛ كما يدل عليه ما رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام مخاطباً(لأَصْحَابِه: اتَّقُوا اللَّه وكُونُوا إِخْوَةً بَرَرَةً، مُتَحَابِّينَ فِي اللَّه،

---

١١ - مقاييس اللغة ٤٩٨/٢.

١٢ - أساس البلاغة ٣٢٩.

مُتَوَاصِلِينَ مُتَرَاحِمِينَ: تَزَاوَرُوا وتَلَاقَوْا وتَـذَاكَرُوا أَمْرَنَـا وأَحْيُـوه) [١٣]؛ فأنَّ ما عدّده بعد صفة التراحم، من تطبيقاتها ومظاهرها الفعلية.

١٣ - الكافي، الشيخ الكليني ١٧٥/٢ باب التَّرَاحُمِ والتَّعَاطُفِ، ح١.

المبحث الثاني

التنمية في نشأتها وامتدادها التأريخي كنظرية وممارسة

كانت (التنمية...في جذورها الأولى منذ المحاولات المبكـرة التي قام بها الإنسان الأول لمعرفة التغيّـرات التـي تجـري مـن حولـه، وقد ارتبط ذلك بالمشاهد الحية والتأمل فـي التغيّـرات التـي تحـدث في الموجودات كفصول السنة والنبـات والإنسـان والحيـوان؛ حيـث أوضحت تلك التغيّرات أن هذا الكون في حركة مستمرة وفـي تغيـر دائم، وقد أدت هذه المشاهدات والتأملات إلى بروز جـدل فلسـفي متواصل حول ماهية الأشياء، وطبيعة المتغيـرات التـي تحـدث فيهـا، ...[و] كان فلاسفة اليونان...السابقين إلى إثارة هذا الجدل في تاريخ الفكر الأوروبي، ومن بين هـؤلاء الفلاسـفة كـان هـرقليطس، الـذي اهتم في جانب كبير مـن فلسـفته بقضـايا التغيّـر، مشـيرًا إلـى أن هـذا الكون في حركة وتغير دائمين، وقد عرفت عنه مقولته الشهيرة "إنك لا تستطيع أن تنزل في نفس النهر مـرتين"، وهـو بهـذا يقـرر أن كـل

شيء في هذا الكون في حركة مستمرة وتغير، وأن كل شيء مؤلف من متضادات (متقابلات)؛ ولهذا فإنه خاضع للتوتر الداخلي، أي للصراع.

وهرقليطس في هذا، يرفض أطروحة الفيلسوف اليوناني بارمنيدس القائلة بأن شيئًا قد يكون، ولا مجال للتغير، كما يتعارض مع فلسفة أفلاطون في اعتباره التغيّر أمرًا ظاهريًا، وأن الحقيقة لا يمكن معرفتها إلا من خلال الشكل أو الفكرة، وهما غير قابلين للتغيير لأن بهما وحدهما نستطيع أن نميز الجيد والحقيقي من غيره.

أما أرسطو فقد ناقش موضوع التغيّر من جانب آخر، فأشار في معرض دراسته لطبيعة الدولة في كتاب السياسة بوجود نظام في الكائن العضوي يمكنه من الانتقال من مرحلة إلى أخرى؛ يبدأ بالولادة، فالنضج، وأخيرا الاضمحلال، وكل مرحلة من مراحل النمو هذه تختزن في باطنها حافز نشوء المرحلة التي تليها.

[و]عند العرب، في القرن الرابع عشر الميلادي، برز المفكر وعالم الاجتماع العربي عبد الرحمن بن خلدون ليعطي مفهوم التغيير الاجتماعي بُعداً أكثر شمولية وعمقاً، مؤكداً أنَّ الظواهر الاجتماعية

لا تنشأ من فراغ، فلكي نفهم الظاهرة الاجتماعية يجب أن نعي البيئة التي نشأت فيها؛ ولذلك عزا ابن خلدون سلوك الناس وطريقة حياتهم إلى نوعية الوظائف التي يشغلونها في المجتمع، والتي تلبي حاجاتهم الأساسية؛ فتلك الوظائف وتلك الحاجات هي مبعث التحالفات وأوجه التعاون بين فئات المجتمع.

وقد أوضح ابن خلدون ذلك بدقة قائلاً: "واعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم من المعاش، فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه... قبل الحاجي والكمالي ... وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفء إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بُلْغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عمّا وراء ذلك، ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك إلى السكون والدعة"[١٤]... .

١٤- مقدمة ابن خلدون ١/١٢٠.

[و] لم يحدث بعد رحيل ابن خلدون حتى البدايات الأولى لعصر النهضة...في أوروبا أي تطور علمي يذكر فيما يتعلق بمفهوم التنمية والتغيّر الاجتماعي، إلا أنَّ التطورات والثورات الفكرية والدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية اللاحقة، والتي ارتبطت بذلك العصر، قد أدت إلى حدوث تغيّرات جذرية وتطورات واسعة في مجال العلوم الإنسانية ومفاهيم التغيّر الاجتماعي، ومن خلال الجدل الفلسفي الذي بلغ ذروته في القرن الثامن عشر، انبثقت نظريات التطور والتنمية والتقدم، وبرزت فلسفات حديثة شاملة للكون والحياة؛ ولأن نظريات التنمية والتطور الحديثة التي تسود عالمنا اليوم قد ارتبطت، إلى حد كبير، بالنظريات والتصورات التي انبثقت عن تلك المرحلة؛ فأنَّ من المهم المرور على أبرز الحوادث والتطورات والأفكار التي ارتبطت بعصر النهضة والتي أدت نتائجها إلى تجذر مفهوم التغيّر الاجتماعي وتصحيحه، وعلى الرغم من أن أحدًا لا يستطيع أن يحدد بالدقة نهاية عصور الظلمة أو بداية عصر الانبعاث في أوروبا، إلا أنه يمكن القول إنه بفعل إشعاعات الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، والنتائج التي توصل إليها

العلماء والفلاسفة العرب؛ فإن أوروبا مع بداية القرن الثالث عشر الميلادي كانت تتململ ببطء في محاولة للاستيقاظ من سبات عميق؛ فقد سجلت كتب التاريخ أن الإمبراطور فريدريك الثاني قد أقام سوقًا للأدب والعلم والفلسفة في بلاطه في جزيرة صقلية، وأنه كان يدعو إلى هذه السوق المشاهير من الفلاسفة العرب، وقد أسس مدرستين إحداهما للعلوم في نابولي، والثانية للطب في ساليرنو، ثم انبثق عن هاتين المدرستين جامعة في باريس جعلت من هذه المدينة قبلة طلاب العلم في أوروبا، ومن ثم انشق بعض الطلاب الإنجليز عن هذه الجامعة فعادوا إلى بلادهم وأنشأوا جامعة خاصة بهم هي جامعة أكسفورد الشهيرة، [و]في القرن الثالث عشر شهدت أوروبا تطوراً ملحوظًا في مجال الأدب والفلسفة؛ فقد برز الفيلسوف الإنجليزي روجر بيكون الذي أنكر العقيدة القائلة بأن الأشياء وجدت كما هي قائمة، موضحاً أن للظواهر الطبيعية أسبابًا يجب التفتيش عنها، فاتهم بالزندقة واضطهدته السلطات الكنسية، وعلى صعيد الانطلاق الأدبي شهد القرن نفسه نشر دانتي ملحمته الشهيرة الكوميديا الإلهية، [و] أما على الصعيد السياسي، فقد شهدت إنجلترا

ثورة على النظام الإقطاعي، ووقّع الملك يوحنا في ١٢١٥م على الوثيقة العظمى التي ضمنت بعض الحقوق السياسية، وفي نفس العام تم تشكيل مجلس ليشرف على الخزينة الملكية، فكان ذلك فاتحة عهد في بروز الأنظمة الدستورية البرلمانية في أوروبا)[١٥].

فكان (مفهوم التنمية من أهم المفاهيم العالمية في القرن العشرين؛ حيث أُطلق على عملية تأسيس نظم اقتصادية وسياسية متماسكة فيما يُسمى بـ "عملية التنمية"، ويشير المفهوم لهذا التحوّل بعد الاستقلال- في الستينيات من هذا القرن- في آسيا وإفريقيا بصورة جلية.

وتبرز أهمية مفهوم التنمية في تعدد أبعاده ومستوياته، وتشابكه مع العديد[١٦] من المفاهيم الأخرى مثل التخطيط والإنتاج والتقدم.

١٥- الموسوعة العربية العالمية، مادة: التنمية، نسخة قرص المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

١٦ - كذا، والصواب بعدة.

وقد برز مفهوم التنمية Development بصورة أساسية منذ الحرب العالمية الثانية؛ حيث لم يُستعمل هذا المفهوم منذ ظهوره في عصر الاقتصادي البريطاني البارز"آدم سميث" في الربع الأخير من القرن الثامن عشر وحتى الحرب العالمية الثانية، إلا على سبيل الاستثناء، فالمصطلحان اللذان استُخدما للدلالة على حدوث التطور المشار إليه في المجتمع كانا التقدم المادي Material Progress، أو التقدم الاقتصادي Economic Progress، وحتى عندما ثارت مسألة تطوير بعض اقتصاديات أوروبا الشرقية في القرن التاسع عشر كانت الاصطلاحات المستخدمة هي التحديث Modernization، أو التصنيع Industrialization.

وقد برز مفهوم التنمية Development بداية في علم الاقتصاد حيث استُخدم للدلالة على عملية إحداث مجموعة من التغيّرات الجذرية في مجتمع معين؛ بهدف إكساب ذلك المجتمع القدرة على التطور الذاتي المستمر بمعدل يضمن التحسن المتزايد في نوعية الحياة لكل أفراده، بمعنى زيادة قدرة المجتمع على الاستجابة للحاجات الأساسية والحاجات المتزايدة لأعضائه،

بالصورة التي تكفل زيادة درجات إشباع تلك الحاجات، عن طريق الترشيد المستمر لاستغلال الموارد الاقتصادية المتاحة، وحُسن توزيع عائد ذلك الاستغلال.

ثم انتقل مفهوم التنمية إلى حقل السياسة منذ ستينيات القرن العشرين؛ حيث ظهر كحقل منفرد يهتم بتطوير البلدان غير الأوربية تجاه الديمقراطية، وتُعرّف التنمية السياسية:"بأنها عملية تغيير اجتماعي متعدد الجوانب، غايته الوصول إلى مستوى الدول الصناعية"، ويقصد بمستوى الدولة الصناعية إيجاد نظم تعددية على شاكلة النظم الأوربية تحقق النمو الاقتصادي والمشاركة الانتخابية والمنافسة السياسية، وترسخ مفاهيم الوطنية والسيادة والولاء للدولة القومية، ولاحقاً تطور مفهوم التنمية ليرتبط بالعديد[١٧] من الحقول المعرفية، فأصبح هناك التنمية الثقافية التي تسعى لرفع مستوى الثقافة في المجتمع وترقية الإنسان، وكذلك التنمية الاجتماعية التي تهدف إلى تطوير التفاعلات المجتمعية بين أطراف المجتمع: الفرد، الجماعة، المؤسسات الاجتماعية المختلفة، المنظمات الأهلية،

١٧ - كذا، والصواب بعدة.

بالإضافة لذلك استحدث مفهوم التنمية البشرية الذي يهتم بدعم قدرات الفرد وقياس مستوى معيشته وتحسين أوضاعه في المجتمع) [١٨].

وقد تطور مفهوم التنمية البشرية ليشمل مجالات متعددة منها : التنمية الإدارية والسياسية والثقافية، ويكون الإنسان هو القاسم المشترك في جميع المجالات السابقة، ولهذا فتطور الأبنية: الإدارية والسياسية والثقافية له مردود على عملية التنمية الفردية من حيث تطوير انماط المهارات والقيم والمشاركة الفعالة للإنسان في عملية التنمية إلى جانب الانتفاع بها، وعلى هذا يمثل منهج التنمية البشرية الركيزة الاساسية التي يعتمد عليها المخططون وصانعو القرار لتهيئة الظروف الملائمة لإحداث التنمية الاجتماعية والاقتصادية. وبعد كل هذا يمكن إجمال القول أن التنمية البشرية هو المنهج الذي يهتم بتحسين نوعية الموارد البشرية في المجتمع وتحسين النوعية البشرية نفسها.

---

١٨ – مفهوم التنمية، د.نصر عارف– كلية العلوم السياسية –جامعة القاهرة –.

ولكن مفهوم التنمية في الإسلام، قد تقدم على أولئك في إطروحته؛ من حيث تأكيده على أنَّ التنمية البشرية للإنسان وبالإنسان، لنفسه الفاعلة، ومعارفه المتغيرة، وقدراته المتجددة؛ بعدما كانت التنمية محفزة على الجد والمثابرة والكمال والإتقان وسائر حالات الإنماء، الشاملة والمتكاملة والمرتبطة بحركة المجتمع تأثراً وتأثيراً، وبالتالي فهو ليس بجديد عليه، ولو لم يرد كمصطلح فيه ، ومازال على اشتقاقه اللغوي، لكنه سبق غيره –لاسيما على مستوى الفكر، لا الفرد- ؛ إذ جعل ركيزة ما ينطلق منه هذا المشروع التنموي، هو رسوخ مفهوم المحبة والأخلاق الحسنة، وأنه يؤسس للعمل التكاملي مع الآخر، ويجمع الأخلاق والاقتصاد وسواهما من الموارد المتوافرة من أجل الإنسان، فهي ببُعديها المعنوي والمادي، قد وفّرت للإنسان فرصة التنمية المستدامة، لا من خلال تطوير الأرض والمدن والأعمال التجارية فحسب ؛ بل من خلال تقوية مختلف مجالات المجتمع، لتكون نواة الاستثمار الأمثل للطاقات و الإمكانات، بينما تُختصر التنمية في غير الإسلام بزيادة دخل الفرد بما يتناسب مع النمو السكاني، وهو ما لم يعالج مشكلة المجتمع

بكامله، بل اهتم بالفرد؛ على أساس أنَّ (التنمية البشرية مبنية في المقام الأول...على السماح للناس بأن يعيشوا نوع الحياة الذي يختارونه، وعلى تزويدهم بالأدوات المناسبة والفرص المؤاتية لتقرير تلك الخيارات، وفي السنوات الأخيرة سعى تقرير التنمية البشرية بقوة إلى إثبات أن هذه المسألة هي مسألة سياسة بقدر ما هي مسألة اقتصاد، من حماية حقوق الإنسان إلى تعميق الديمقراطية) [١٩].

وهذا ما يمثّل إفراطاً في منح الحرية أو استخدامها؛ حيث يفترض استواء الأفراد في قابلياتهم لاختيار نوع الحياة، مع أنهم ليسوا على شاكلة واحدة، ولم يغنهم بشئ تزويدهم بالأدوات والفرص لتقرير ذلك؛ إذ يُسهم بوضوح في تأميم الخيارات جميعاً لصالح فئة أو فرد، كما أكده التقرير في النص المتقدم، فلم يكن الاختيار خالياً عن حسابات معينة، تؤثر على حق الناس المكفول؛ بعد عدم افتراض عصمة القائم عنهم بذلك.

---

١٩ – موقع الأمم المتحدة، تقارير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية.

ومن هنا كانت خيارات الإسلام في التنمية البشرية، أكثر تلاؤماً مع واقع إنسانية الفرد، بما يعبأ فيه روح المسئولية، وينشطه للمطالبة بحقوقه المشروعة في الحياة؛ إذ كما قال رسول اللهﷺ:(يقول الله:وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي، ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية، كانوا على ما كرهته من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي، وما من أهل بيت ولا قرية ولا رجل ببادية، كانوا على ما أحببت من طاعتي ثم تحولوا عنها إلى ما كرهت من معصيتي إلا تحولت لهم عما يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبى) [٢٠] ؛ بما يقرر واحدةً من سننه تعالى الكونية، من أنَّ التغيير مرتبط بإرادة العبد الجازمة للتغيير، فيكون قد تفاعل عقلياً وجسدياً مع الحدث ، وبدأ خطوات الإصلاح والتطوير، لتتشكل بذلك إرادة مجتمعية عظمى، وتكون نهضة عامة، تستنفر الطاقات، وتستثمر الجهود، فتحصل التنمية المنشودة، وإلا كان التغيير أحادياً؛ إذ يعتمد تصوراً فردياً، قد

---

٢٠ – الدر المنثور، السيوطي ٤٨/٤.

يصيب كما يخطئ، ومعه فلا يتم التفاعل الثنائي سواءاً على مستوى التنمية عامةً، أم التراحم خاصةً باعتباره خطوة جادة في طريق التطور والنجاح.

المبحث الثالث

تطبيقات تنموية

ومما يشهد بسبق التنظير إسلامياً للتنمية، تأكيده على إشاعتها في عدة مجالات:

١- فقال تعالى:(و كلوا و اشربوا و لا تسرفوا) [٢١] ، وهو توجيه توجيه بضرورة ترشيد الاستهلاك والإنفاق وعدم مجاوزة الحد الطبيعي في النفقة؛ ليصل الفرد الى مستوى أفضل، ويتجاوز بعض ضوائقه المالية، ولم يقتصر على ذلك بل:

٢- أرشد الى الإفادة من رؤس الأموال وتدويرها تجارياً؛ فقال تعالى:(يأيها الذين امنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) [٢٢]، حاثاً بذلك على استهلاك المال والاستفادة منه واستثماره بما يعود نفعه على الجميع؛ كما هو واقع التجارة؛ إذ تؤدي الى الاستعانة بأكثر من يد عاملة، وتحقق مكسباً

٢١ – سورة الأعراف، من الآية٣١.

٢٢ – سورة النساء، من الآية ٢٩.

لأكثر من عائلة وجهة، فتُحدث بدورها ترددات إنفاقية تعمل على تحريك السوق محلياً بل إقليمياً بل دولياً، مما يمتص كثيراً من مظاهر البطالة أو سائر الأزمات الأخرى؛ ولذلك أهتم رسول اللهﷺ بها وحثّ عليها بقوله:(تسعة أعشار الرزق في التجارة...)[٢٣]، بما يبين أهمية ترشيد طرق استغلال الثروات وعدم الاقتصار على حالات محدودة، بل تطويرها ضمن الضوابط، الأمر الذي يحقق تنمية اقتصادية مهمة، تستبعها تنمية بدنية؛ حيث ينشط المتاجر ويكدح، فيبتعد بسبب ذلك عن الخمول والكسل وسفاسف الأمور والفضول في شئون غيره، ولايجد وقتاً للتفكير بأذى أو سلبية لأحد، وغيرها من دوال التطوير والتغيير الايجابي، ومنه التنمية الزراعية، والتي هي من بعض ما أنعم تعالى به على عباده وحثهم على الأخذ منها وبها؛ ليندفعوا في مجالات العطاء والرخاء، ويجروا في طرق الأرض ويبحثوا بأنفسهم عن الرزق الحلال:

٢٣ - الخصال، الشيخ الصدوق ٤٤٦ ح٤٥، الجامع الصغير، السيوطي ٥٠٦/١ رقم٣٢٩٦.

٣-قال تعالى:(وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ). (٢٤)

٤- (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ، وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ، وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) (٢٥).

٥-(أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ، أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (٢٦).

٦-(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ

---

٢٤ - سورة الأعراف، الآية ١٠.

٢٥ - ىسورة الحجر، الآيات ١٩-٢٢.

٢٦ - سورة النمل الآيتان ٦٠-٦١.

بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)[٢٧]، وغيرها من الآيات المباركة التي تهئ للتنمية الاجتماعية والتطوير النوعي والتغيير في المجتمع له ومن أجله:

٧-قال تعالى:(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)[٢٨] .

٨-(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[٢٩]، بما يبعث على التلاحم وتقوية الأواصر و تكثير الروابط، مما يُرجى منه الخير للجميع، وتترشح عنه تنمية سياسية، تحقق تطويراً كبيراً لِبُنى المجتمع، فضلاً عن الفرد؛ فيستشعر الجميع المسئولية في تدبير الأمور العامة ومتابعتها بما ينسجم مع المصالح العامة المشتركة، الأمر الذي يوفر استقراراً نوعياً أمنياً واقتصادياً

---

٢٧ - سورة البقرة، الآية٢٦٧.

٢٨ - سورة المائدة، الآية٢.

٢٩ - سورة الحشر، الآية ٩.

ومجتمعياً عاماً، بما يبرز دور الاحتكام الى ذوي التجربة والحكمة، ويبين أهمية التشاور؛ حيث لا يستقيم أمر بالفوضى والاستبداد:

٩-قال تعالى:(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)[٣٠].

١٠-(وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [٣١].

١١-(وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) [٣٢]؛ تأكيداً على ضرورة التحاور واشتراك الجميع في اتخاذ المواقف المهمة، وعدم التعجل في حسمها؛ لما لإجالة الرأي وإدارته بين أكثر من طرف أو جهة من أثر كبير في بلورة الأفضل، وهذا ما يجب اتباعه؛ تفعيلاً للتنمية وترسيخاً لمفهوم التطوير القائم على إشاعة روح التعاون والتكاتف في الإنسان.

---

٣٠ – سورة النساء، الآية ٦٥.

٣١ – سورة آل عمران، من الآية ١٥٩.

٣٢ – سورة الشورى، من الآية ٣٨.

الفصل الثاني

المبحث الأول

التنمية البشرية في ظل القرآن والحديث

قال تعالى واصفاً القرآن الكريم:(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) [٣٣]، (ما فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) [٣٤]، مما يؤصل حقيقة كاشفية القرآن الكريم عن الأشياء، وأنه كتاب هداية ورحمة؛ إذ يدعو الى الصلاح والفلاح في النشأتين؛ حيث يعمّق مفاهيم الطاعة والتقوى والعمل الصالح والسلوك الحسِن مع الجميع والدفع بالأحسن وسواها من الأخلاق الحميدة والصفات الحسنة ، وهو مع ذلك كله بشرى للعاملين به؛ فقد تكفل لهم بتحديد طريق النجاة، وسهل عليهم سلوكه، وسواها من صفات القرآن الكريم، بما يبعث نحو استجلاء حقائقه والإفادة منها ، لتعين على مواكبة الحياة، بما يضيف زخماً معنوياً داعماً

٣٣ – سورة النحل، من الآية ٨٩.

٣٤ – سورة الأنعام، من الآية٣٨.

لمواصلة المسيرة، واستنماء المعلومة، وإنْ تطلّب ذلك مواصلةً ومثابرةً في البحث عما أودعه تعالى في كتابه العزيز، الذي أتمن عليه(أَحَبَّ أَنْبِيَائِه إِلَيْه، وأَكْرَمَهُمْ عَلَيْه، مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّه... اصْطَفَاه اللَّه، وارْتَضَاه ، واجْتَبَاه، وآتَاه مِنَ الْعِلْمِ مَفَاتِيحَه، ومِنَ الْحُكَمِ يَنَابِيعَه، ابْتَعَثَه رَحْمَةً لِلْعِبَادِ، ورَبِيعاً لِلْبِلَادِ ...) [٣٥]، (ابْتَعَثَه بِالنُّورِ الْمُضِيءِ والْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ، والْمِنْهَاجِ الْبَادِي والْكِتَابِ الْهَادِي) [٣٦]، (...ابْتَعَثَه والنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ، ويَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ، قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ الْحَيْنِ، واسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ...) [٣٧]، فكان الوصول الى الكنز مشروطاً باتباع الأمين عليه ﷺ الموصوف بقوله سبحانه:(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) [٣٨]؛ إذ لابد من الاسترشاد به ودلالته، وعدم

---

٣٥ الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٤٤٤ ح-١٧ عن مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ غَالِبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه ع فِي خُطْبَةٍ لَه خَاصَّةً يَذْكُرُ فِيهَا حَالَ النَّبِيِّ والأَئِمَّةِ ع وصِفَاتِهِمْ.

٣٦ - نهج البلاغة(تحقيق صالح)٢٢٩.

٣٧ - المصدر نفسه ٢٣٨.

٣٨ - سورة الأحزاب، الآيتان ٤٥-٤٦.

الاستغناء اغتراراً ببعض ما يُحرز من العلوم، بل مهما تكامل الإنسان، فلا غنى له عن الإفادة من عطاء رسول الله ﷺ؛ لكونه المعلّم(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [٣٩]، بما يمثّل حالة فريدة؛ لجمعه بين التزكية والتعليم، بما يعنيانه من اقتران العلم والعمل، وهما عصبان حيويان، يتوزعان شئون الحياة، وبدون أحدهما يتحول الفرد الى آلة مستجيبة، فكان دور الرسول الأعظمﷺ في التطوير والتغيير، بأنْ دعا الى تفعيل إرادة الإنسان في صنع الحياة، ومشاركته الفاعلة في اختطاط طريقه ورسم ملامحه العامة، وهو ما يقوي لديه المناعة من اختراق أحدٍ إياه، ويهئ له وسائل الدفاع الواقية لو تعرض لذلك؛ فقال ﷺ :(لا تُسخطوا اللهَ برضا أحدٍ من خلقه، ولا تتقربوا إلى أحدٍ من الخلق بتباعدٍ من الله عز وجل؛ فإنَّ اللهَ ليس بينه وبين أحدٍ من الخلق شئٌ يعطيه به خيراً أو يصرف به عنه سوءاً إلا بطاعته وابتغاء مرضاته، إنَّ طاعةَ اللهِ نجاحُ كلِّ خيرٍ يُبتغى، ونجاةٌ من كلِّ شرٍّ يُتقى، وأنَّ اللهَ

٣٩ – سورة آل عمران، الآية ١٦٤.

يعصم مَنْ أطاعه ولا يعتصم منه مَنْ عصاه، ولا يجد الهارب من الله مهرباً؛ فأنَّ أمرَ الله نازلٌ بإذلاله ولو كره الخلائق، وكل ما هو آت قريب، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، تعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب)[٤٠]، وقولهﷺ:(...إنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته)[٤١]، وغيرها من دعواتٍ للاستقامة واتباع الحكمة وعدم التورط بالمخالفة؛ لما تسببه من سوءٍ لا يُتدارك.

وأنَّ العاقل مدعوٌ للاستجابة؛ بعدما كان التحذير من المعصية والمخالفة؛ ولو للخوف من عقوبة يومٍ لا يجد الهارب من الله مهرباً؛ بما يُلزم عقلاً بدفع ذلك الضرر- ولو كان محتملاً غير متيقن-، وعليه العمل بالطاعة؛ إنجاءاً لنفسه وحفظاً لها من النار، وهذا ما يستلزم تعريفاً إلهياً لعباده؛ فأرسل الرسل وبعث الأنبياء(أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ؛ لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِه عَهْدَ اللَّه إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّه واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَه، واجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ

---

٤٠ - أمالي الشيخ الصدوق ٥٧٧، رقم ١/٧٨٨.

٤١ - شُعب الإيمان، البيهقي ٢٩٩/٧ رقم ١٠٣٧٦.

عَنْ مَعْرِفَتِه، واقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِه؛ فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَه، ووَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَه لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه، ويُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِه، ويَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، ويُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، ويُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ؛ مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ ، وأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، ولَمْ يُخْلِ اللَّه سُبْحَانَه خَلْقَه مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، ولَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَه مَنْ بَعْدَه، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَه مَنْ قَبْلَه، عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ ومَضَتِ الدُّهُورُ، وسَلَفَتِ الآبَاءُ وخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ، إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّه سُبْحَانَه مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّه ﷺ؛ لإِنْجَازِ عِدَتِه وإِتْمَامِ نُبُوَّتِه، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُه، مَشْهُورَةً سِمَاتُه كَرِيماً مِيلَادُه، وأَهْلُ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ وطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّه لِلَّه بِخَلْقِه أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِه، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِه، فَهَدَاهُمْ بِه مِنَ الضَّلَالَةِ وأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِه مِنَ الْجَهَالَةِ، ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَه لِمُحَمَّدٍﷺ لِقَاءَه، ورَضِيَ لَه مَا عِنْدَه وأَكْرَمَه عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، ورَغِبَ بِه عَنْ مَقَامِ

الْبَلْوَى، فَقَبَضَه إِلَيْه كَرِيماً ﷺ، وخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا؛ إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ ولَا عَلَمٍ قَائِمٍ) (٤٢).

وأنَّ إرساله تعالى لنبيه محمدﷺ تكليفٌ بترشيد أمةٍ، لها قناعاتها وممارساتها، فلو لم يكن المرسَل جامعاً لخصائص ذاتية، وكفاءات مؤهلة لتلقي الفيض الإلهي، لما كلّفه تعالى بذلك، وإلا كان نقضاً للغرض من الإرسال، وحاشاه تعالى، كما لم تكن إرادةُ الإرسال موجِدةً للأهلية، وإلا فهو الجبر، وحينها لم يكن الانقياد بالإرادة، ولا يستحق العبد جزاءاً عليه؛ بعدما قد قُسِرعلى الاستجابة، بل كان ظلماً، (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) (٤٣)، (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا) (٤٤).

إذن، كان المرسَلﷺ متحلياً بمقومات الاستعداد واللياقة لأداء الرسالة الإلهية، المستوعبة لمفاهيم الفلاح والصلاح والرشاد، وتنشيط المغروس الفطري منها في الإنسان، وتنميته بحيث يترعرع

٤٢ - نهج البلاغة ١/٤٣-٤٤ الخطبة ١.

٤٣ - سورة الكهف، من الآية ٤٩.

٤٤ - سورة الإسراء، الآية٤٣.

مستقيماً سليماً عن التأثر بسلبيات المجتمع؛ لما أتاحه له من أجواء المناعة، ومناخ الاستقامة، فلو خرج عنها أحدٌ كان مقصِّراً في حق نفسه، وبهذا صحَّ أنْ يكلف تعالى عباده؛ بعدما أقام الحجة لهم، فكان فيها تنجيز وتعذير.

وقد أدرك المبعوثﷺ مبكراً أهمية تغيير حياة الإنسان وتطويرها إلى الأفضل، في عملية شاملة ومتعددة الجوانب ومستمرة؛ لأنَّ الإنسان هو المحور في عمليات التغيير والإصلاح، كما أنه الهدف من عمليات التنمية البشرية وبرامجها المختلفة، والتغييرُ من السنن الكونية الثابتة، فمن الضروري برمجته بما يضمن تقويم الإنسان ببرامج إصلاحية، تعبأ فيه روح العبودية لخالقه تعالى، والمواطنة مع المخلوقين، والمسئولية اتجاه سائر المخلوقات، فيبتعد عن منطلقات العبث والعنف، بل يقترب بوعي من ممارسة الإصلاح والإرشاد والتوعية والتوجيه، حسب طاقته، مستشعراً مسئوليته في ذلك، وعارفاً بعظيم دوره للمشاركة فيه، وقد اختط القرآن الكريم مناهج ذلك التغيير الإصلاحي، عبر الآيات المباركة، ومن خلال

بيانات النبي الأعظم ﷺ وأحاديثه المباركة؛ ليتأصل مفهوم التنمية البشرية، ويكون من مرتكزات بناء الإنسان ورسم دوره في الحياة.

وعليه فلم تعد التنمية البشرية من المفاهيم الحديثة، وإنْ شاعت عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥م)، وخروج البلدان المشاركة -خاصة الخاسرة في الحرب- مصدومة من الدمار البشري والاقتصادي الهائل، فحاولوا الإسراع في الخروج من النفق المظلم الذي دخلت فيه بسبب الحرب ومخلفاتها الكارثية؛ وشرعوا آنذاك بإعداد الخطط لإيجاد بيئة مناسبة للإنسان وممارسته الحياتية، ومع ذلك ظلَّ مصطلحُ التنمية البشرية — عالمياً- مقتصراً على الخطاب الاقتصادي والسياسي لحد تسعينات القرن الماضي، ولم يتبلور في الخطاب الفكري والمعرفي إلا متأخراً من هذا القرن، لكنه متجذرٌ في مبادئ الإسلام وقيمِهِ الفكرية، وله أسسه النظرية وتطبيقاته في القرآن الكريم وتراث نبينا الأعظم ﷺ، ولو لم تُعرّف بمصطلح التنمية البشرية، كغيرها من المفاهيم التي تعددت تسمياتها حسب المستعملين؛ لأنَّ السعي للتغيير والتطور و النماء، ملازم لمسيرة الإنسان الحياتية، ومن وسائل تطور الحياة البشرية على الأرض ، فهو

ممتد بامتداد الوجود الإنساني، لكنه لم يستغنِ عن بلورة بعض التفاصيل، كتوضيح ملامح التنمية البشرية في تراث الإسلام - قرآناً وسنةً-، وتنبيه الأمة على سبقه في هذا المضمار، وتعريفهم بما أشار اليه ﷺ من قدرة الإنسان على تنمية نفسه لنفسه بنفسه، وبدون الخروج عن سياق مجتمعه؛ ليتصل الحراك عبر الأجيال زماناً، وفي المواقع الجغرافية والبيئية مكاناً؛ لما أودعه تعالى في الإنسان — عقلياً وجسدياً - من قدرةٍ على استيفاء حاجته الإنسانية في النمو والنضج والاستقرار؛ ليُميّز بين صالح الأشياء وطالحها، مستعيناً بسلسلة من المفاهيم والمبادئ، مما يجّذر فيه الشعور بالمسئولية، ويحفّزه للمشاركة مع الآخر، في مجالات الإنتاج، و رسم السياسة الاقتصادية والمالية، وخطط العمل السياسي ومجالاته، وإدارة السلطة و العلاقة مع مختلف الشرائح، والعمل على تحسين مصادر الثروة ومعايير تملكها وتوزيعها، وترسيخ قيم الانتماء للدين والوطن والمحافظة على الهوية، وأنها لن تتعارض مع التطلعات للتطوير والتجديد كأداةٍ للتقدم والتنمية، وغيرها من المدخلات والسياقات المجتمعية التي تفرزها حاجة الإنسان، ويبرزها تكاملُهُ مع الآخر؛

تحقيقاً للأمل الإلهي في نهوض الإنسان بمنصب الخلافة؛ قال تعالى:(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) [٤٥]، (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ) [٤٦]، مما يجعله-الإنسان- محوراً محركاً لعمليات البناء والتنمية والتطوير للمجتمع، ومتحملاً للأمانة؛ قال تعالى:(إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ) [٤٧]، بما يقتضي استعداده ولياقته لذلك، مع احتياجه الى معرفة قواعد أداء الأمانة، ومقتضيات مقام الخلافة.

---

٤٥ – سورة البقرة، من الآية ٣٠.

٤٦ – سورة: ص ، من الآية ٢٦.

٤٧ – سورة الأحزاب، من الآية ٧٢.

المبحث الثاني

تطبيقات تنموية من القرآن المجيد

فكان في الآيات الكريمة، ما يعرِّف الإنسان ذلك، من خلال عرض عدة مفاهيم تنسجم مع التنمية البشرية، وتتسق معها في منهجها العام؛ مثل:

١- التزكية إذ قال تعالى:(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) [٤٨]؛ بما للتزكية من معنى النمو والزيادة والطُهر[٤٩]، وهو مما تحتاجه خطط التنمية البشرية؛ لتكافح الفساد والتخلف بأشكالهما المختلفة؛ فلولا ذلك لاندثرت مبادئ النزاهة لدى الإنسان.

٢- التنشئة والإعمار؛ قال تعالى:(هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ

٤٨- سورة الشمس، الآيات ٧-١٠.

٤٩ - ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ١٨/٣.

مُجِيبٌ)[٥٠]؛ بما يعنيان من وجود إنسان قادر على التعمير –مهما بلغ سعيه –، ولا تتم قدرته بمجرد قوته البنيوية دون ارتباطه الفكري وانتمائه الإيماني، حتى يدوم سعيه ولا ينكفئ، وهذا عنصر أساس في إنجاح العملية التنموية، وإلا فلا جدوى من برامج دون كفاءات عاملة.

٣- التمكين؛ قال تعالى:(وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ) [٥١]، بما يستبطن تهيئة السُبُل وتوفير المعدات لذلك، وإلا لما تمَّ التمكين، بينما أخبر تعالى بتحققه، فلا بد من وجود مستلزمات الاستقرار والقدرة على العمل التنموي بجميع مفاصله، وهذا أهم ما تفتقر اليه برامج التنمية البشرية.

٤- التسخير؛ قال تعالى:(أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) [٥٢]، بما يمثِّل تفعيلاً للتمكين في الأرض، وتكميلاً لدوره؛ حيث لا

٥٠- سورة هود، الآية ٦١.

٥١ – سورة الأعراف، من الآية ١٠.

٥٢ – سورة لقمان، من الآية ٢٠.

يتسنى العمل دون تيسير المعدات واتاحة الإمكانات، وهو ما تفضل سبحانه به؛ إذ أقدر الإنسان على الإفادة مما في السموات والأرض؛ لأنه تعالى(هوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) [٥٣] ، واذا أساء الإنسان -أحياناً- استخدام الثروات والموارد الطبيعية، (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [٥٤]؛ فاستحالت المصادر الطبيعية الى تهديد حقيقي بكوارث وبراكين واحتباس حراري وتغيّر بيئي وأمراض مزمنة وغيرها، الأمر الذي يُلزم الجميع بالعودة الى الحكمة وحُسن التدبير؛ ليتحقق المرجو من التنمية البشرية.

٥- السعي؛ قال تعالى:(وَأَن لَّيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى) [٥٥]، بما يعكسه من تأكيد على مفهوم العمل والاعتماد على النفس في الوصول الى الأماني والآمال، ثم تحمّل المسئولية في المحافظة

٥٣ - سورة الملك، الآية ١٥.

٥٤ - سورة الروم، الآية ٤١.

٥٥ - سورة النجم، الآية ٣٩.

على المنجز والاستمرار في المشوار، بدون أنْ يقتصر أسلوب السعي المطلوب على آلية بعينها، بل يشمل البدء بعمل، أو تطوير الموجود من الخبرة والمهارة والقابلية، أو تجديد أدوات التنفيذ، أو إبداع وسائل واستحداث طرق، بل جميع ما يسهم في تحفيز الموارد البشرية على بذل أقصى الجهود من أجل رفع مستوى الفرد وتنمية المجتمع، الأمر الذي يرسخ المسئولية الفردية والنوعية في النفوس، ويجعلهما من أولويات المواطن والدولة، فلا يتغافل عنهما أحد؛ لأنه كما قالﷺ:(كلكم راع وكلكم مسئول؛ فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول، والمرأة راعية على بيت زوجها، وهي مسئولة ، والعبد راع على مال سيده، وهو مسئول، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول) [٥٦].

٥٦ – مسند أحمد ٥/٢، (عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:...)، وعنه في عوالي اللئالي، للأحسائي ١٢٩/١.

وقالﷺ أيضاً:(لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع:عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت) [٥٧].

٥٧- أمالي الشيخ الصدوق٩٣ برقم٧٠ قال:(حدثنا محمد بن أحمد الأسدي البردعي ، قال : حدثتنا رقية بنت إسحاق بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، عن أبيها، عن آبائه عليهم السلام قال:قال رسول الله ﷺ : ...)، لكن رواه الترمذي في السنن ٣٦/٤ برقم ٢٥٣٢ قال:(حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، أخبرنا الأسود بن عامر، أخبرنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش ، عن سعيد بن عبد الله ابن جريج عن أبي برزة الأسلمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :لا تزول قدما عبدٍ حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما فعل، وعن ما له من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه "هذا حديث حسن صحيح ...)، والغريب إسقاط :عن أربع...وعن حبنا أهل البيت!!!؛مع أنَّ النقاش الأصفهاني الخليلي الحنبلي (ت٤١٤هـ)في كتابه فوائد العراقيين ٥٠ ح٤ قال:(أخبرنا إبراهيم بن أحمد بن أبي حصين، ثنا جدي أبوحصين محمد بن الحسين الوداعي، ثنا أحمد بن صبيح الأسدي، ثنا السرى بن عبد الله السلمي، عن زياد بن المنذر عن نافع بن الحارث عن أبي برزة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن حوله جلوس :" لا ، والذي نفسي بيده لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه ما فعل به ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه، وعن حبنا أهل البيت، فقال عمر رضي الله عنه : وما آية

٦- العمل؛ قال تعالى:(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [٥٨]، كما قال سبحانه:(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا) [٥٩]؛ بما يمنح فرصة كبيرة لتدوير عجلة العمل عامةً، وتنمية الموارد البشرية خاصةً؛ بعدما قدّم الضمانات اللازمة للانطلاقة الأولى؛ من

حبكم من بعدك ؟ قال : فوضع يده على رأس علي، وحوالي جنبه ، قال :" آية حبنا من بعدي ، حب هذا)، وكذلك الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٤٦/١٠رواه أيضاً(عن أبي برزة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربعة عن جسده فيما أبلاه، وعمره فيما أفناه ، وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت، قيل يا رسول الله :فما علامة حبكم؟، فضرب بيده على منكب علي رضي الله عنه)، كما رواه عن ابن عباس هو، والطبراني في المعجم الأوسط ١٥٥/٩-١٥٦ (عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفنى ، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله فيما أنفقه ومن أين كسبه، وعن حبنا أهل البيت)، وأيضاً في المعجم الكبير ٨٣/١١-٨٤، فسبحان الله أين أمانة النقل؟!.

٥٨- سورة التوبة، الآية ١٠٥.

٥٩ - سورة الكهف، الآية ٣٠.

خلال الجزاء والحساب، مما يُحدث انجذاباً نفسياً، وتعبئة جسدية للمضي قُدُماً نحو الإخلاص والعمل بمهنية، ولو برجاء الثواب، أو لتوقي العقاب.

وأنَّ هذا العمل عبادياً أم مهنياً-، قصدياً أم بدنياً، كفيلٌ بدفع الإنسان وتشجيعه على المواصلة؛ رغبةً أم رهبةً، كما يحافظ على ديمومة العمل التنموي، في مختلف قطاعاته، وبذلك تعمر الدنيا، وتدوم الحيوية.

(أ): وقد حرص النبي الأعظم ﷺ على العمل بنفسه ؛ فقد قالﷺ :(ما بعث الله نبياً إلا راعي غنم، قال له أصحابه: وأنتَ يا رسول الله؟!قال: وأنا، كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط...)[٦٠]، كما (أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ اشْتَرَى عِيراً أَتَتْ مِنَ الشَّامِ، فَاسْتَفْضَلَ فِيهَا مَا قَضَى دَيْنَه وقَسَمَ فِي قَرَابَتِه...)[٦١]، بل لما(...كانت خديجة ابنة خويلد، امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه،

٦٠ - سنن ابن ماجة ٧٢٧/٢ ، باب الصناعات، رقم٢١٤٩، طبقات ابن سعد ١٢٥/١.

٦١ - الكافي ، للشيخ الكليني ٧٥/٥ ح٨.

...فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه، بعثت اليه فعرضت عليه أن يخرج في مالها تاجراً إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله منها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج في مالها ذلك ومعه غلامها ميسرة، ...ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة، ...فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به فأضعف أو قريباً...) [٦٢].

(ب):كما حثّﷺ على ممارسة العمل اليدوي- بما يشمل الصناعة والزراعة والرعي والحِرف والمهن الأخرى-؛ فقد فقالﷺ:(ما كسب الرجل كسباً أطيب من عمل يده...) [٦٣]

(ت):ولم يكتف بذلك حتى أكد على تحسين نوعية المنتَج، وتفعيل دور السيطرة النوعية في ضمير العامل؛ فقد قالﷺ:(

٦٢ - سيرة ابن اسحاق ٦٠ رقم ٥٨.

٦٣ - سننابن ماجة ٧٢٤/٢ رقم ٢١٣٨.

إنَّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أنْ يتقنه)[٦٤]، أو(ويحب الله العامل إذا عمل أن يتقن)[(٦٥)]، وقالﷺ:(خير الكسب كسب العامل إذا نصح)[(٦٦)] ، أو (يحب الله للعامل إذا عمل أن يُحسن)[(٦٧)].

(ث):بل حتى أنه ﷺمارس ذلك بنفسه، ولم يكتف بالتنظير؛ وذلك أنَّه ﷺ:(لَحَّدَ سعدَ بن معاذ وسوّى اللِبْنَ عليه، وجعل يقول: ناولني حجراً، ناولني تراباً رطباً، - يسد به ما بين اللِبْن -، فلما أنْ فرغ وحثا التراب عليه وسوّى قبرَهُ، قال رسول الله ﷺ: إني لأعلم أنه سيبلى ويصل إليه البِلاء، ولكن الله يحب عبداً إذا عمل عملا أحكمه)[(٦٨)] ، مما يدل على جدية في التنظير والتطبيق، حتى استعان بمؤثرات الترغيب والمحفزات النفسية،

٦٤ – مسند أبي يعلى ٣٥٠/٧ رقم ٤٣٨٦، المعجم الأوسط ، الطبراني ٢٧٥/١.

٦٥ – مجمع الزوائد ، الهيثمي ٩٨/٤.

٦٦ – مسند أحمد ٣٣٤/٢.

٦٧ – المعجم الكبير، الطبراني ٢٠٠/١٩.

٦٨ – وسائل الشيعة، الشيخ الحر ٨٨٤/٢ ب ٦٠ ح٢، نقلاً عن أمالي الشيخ الصدوق ٤٦٨.

ليصل الى مراده في تصحيح خلل كبير يتهاون بـه الإنسـان، مـع أنَّ عواقبه سيئة جداً، ومن أضرِّها الفسـاد الإداري أو المهنـي أو المالي، وهو مدمِّر للعباد والبلاد؛ لتضاؤل نسبة الجـودة النوعيـة، وعندها لا تنجح برامج التنمية مهما خُطط لها، وتـزداد مسـئولية الدولة في محاربة الفساد بأشـكاله، والتصـدي لمـا يعيـق التنميـة البشرية؛ كون ذلك ضمن مسئوليتها العامة.

٧- التخطيط والإعداد الجيد للبرامج والخطط المستقبلية؛ إذ لا تنتج ما لم تكن استعدادات مناسبة للعمل التنمـوي؛ لاعتمـاده أساسـاً على حُسن التدبير، و دراسة واقع الفـرد والمجتمـع، ثـم تحليلـه بإيجابيـات وسـلبياته، ومعالجـة المشـكلات القائمـة، ودراسـة التوقعات المستقبلية بالمقاييس العلميـة واقتـراح الـرؤى النافعـة لذلك، كما يستفاد من قوله تعالى:(وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ) [٦٩]، بـدون أنْ يعيـق

٦٩ – سورة الأنفال، الآية ٦٠.

ورود الآية في الشأن الحربي؛ فالتخطيط للحرب -وهو طارئ مؤقت -لازم، لكنه للسِلْم ألزم، مع ما يكتنفه من طوارئ تضيق معها سبل الحياة؛ ولذا كان التخطيط متجلياً في ما اقتصه من خبر النبي يوسفعليه السلام بقوله تعالى :(قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلا قَلِيلا مِمَّا تَأْكُلُونَ) [٧٠]، مما يبرز أهمية التخطيط المستقبلي وإعداد مراكز للدراسات؛ لأنَّ مهما كانت ضرورة توفير الأمن الغذائي لشعب واحد، في موقع محدد، فإنَّ تأمين ذلك وسواه من أسباب التنمية البشرية، أكثر ضرورة؛ لأهمية تأمين مستقبل شعوب دول العالَم جميعاً؛ فإنها المجتمع الذي يشار بلفظ: الناس، في قوله ﷺ:(خير الناس مَنْ نفع الناس) [٧١].

٨- الاستقامة؛ قال تعالى:(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [٧٢] ؛ بما تمثله من الأمانة العملية،

---

٧٠ - سورة يوسف، الآية ٤٧.

٧١ - شعب الإيمان، البيهقي ١١٧/٦ برقم٧٦٥٨.

٧٢ - سورة هود، الآية ١١٢.

وتعكسه من ضبط النفس والسيطرة عليها أمام مغرياتٍ تقود الى الخيانة، فهي من أهم خصائص التنمية البشرية ومداخلها؛ حيث لا تتم عملية التغيير الذاتي أو لدى الآخر ما لم تعتمد الأمانة كمنطلق أساس في توفير مناخٍ سليمٍ من آفات الخيانة؛ ولذا قال ﷺ:(لا إيمان لمَنْ لا أمانة له) (٧٣) ، (مَنْ خان أمانة في الدنيا ولم يردها إلى أهلها ثم أدركه الموت مات على غير ملّتي ، ويلقى الله وهو عليه غضبان) (٧٤)، (الأمانة تجلب الغناء، والخيانة تجلب الفقر) (٧٥) ، (ليس منّا مَنْ يحقر الأمانة حتى يستهلكها إذا استودعها) (٧٦)، مما يوضح مدى خطورة الابتعاد عن الأمانة كصفة نفسية، بما يلحق الضرر بالفرد؛ فيساوي غير المؤمن، ويحل عليه الغضب الإلهي -والعياذ بالله-، ويخرج بذلك عن صفات المسلمين، ليتوقع الفقر – مادياً أم معنوياً-، وهذه جميعاً مما يفرُّمنها العاقل؛ لعدم تكافؤ المعادلة؛ بعدما كانت(الأمانة

٧٣ – مسند أحمد ١٣٥/٣، النوادر للراوندي ٩١.

٧٤ – الأمالي للشيخ الصدوق ٥١٦.

٧٥ – الكافي للشيخ الكليني ١٣٣/٥ ح٧.

٧٦ – مستدرك الوسائل للشيخ النوري ١٢/١٤ ح٢.

غنى، أي سبب الغنى؛ ومعناه أنَّ الرجل إذا عُرف بها كثُر معاملوه، فصار ذلك سببا لغناه) [٧٧]، بل قد حثَّ ﷺ على مراقبة أداء الفرد، وألا يقتصر التقييم على سلوكه الشخصي؛ لعدم تعبيره دائماً عن خصاله النفسية التي يحتاجها المجتمع؛ لسهولة تقمّص الأدوار وممارسة الازدواجية مع الآخر؛ فقالﷺ:(لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم، وكثرة الحج، والمعروف، وطنطنتهم بالليل، ولكن انظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة) [٧٨]، بما يشير الى ضرورة الفصل بين القناعات الشخصية وما يتبعها من ممارسات، وبين مستوى الكفاءة والمهنية والنزاهة والتزام الأخلاق الحميدة، فالفرق بينهما كبير جداً؛ لفاعلية هذه الصفات في مختلف القطاعات الحياتية المتصلة بشئون أفراد المجتمع الآخرين ، والذي بها تدور عجلة الحياة وتتقوم، بينما قناعات الأشخاص وممارساتهم التي يُفترض أنها انعكاسة صادقة عما يؤمنون به، قد تتخلف في

---

٧٧ – نهاية ابن الاثير ٧١/١.

٧٨ – الأمالي للشيخ الصدوق ٣٧٩ ح ٦ رقم ٤٨١.

ميادين التجربة والتطبيق، كما أنها قضايا خاصة وليست بعامة، فيلزم الفصل بينهما ، والتأكيد الدائم على لزوم التحلي بهما؛ إذ لايغني أحدهما عن الآخر؛ فقد قال سبحانه:(قدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [٧٩]؛ مادحاً المؤمنين على اتصافهم بالاستقامة الفردية، والارتباط الروحي، مع تأكيده المتكرر-أولاً وآخراً-، لكن لم يكتفِ به، بل أولى عناية خاصة واهتماماً بيّناً، للنزاهة المجتمعية من خلال رعاية الإلتزامات مع الآخر—سواءاً بأداء الأمانة أم الوفاء بالعهد-؛ حتى ارتبط استحقاق الفرد لأنْ يرث الفردوس ويخلد في الجنة، باستكمال الشروط المذكورة جميعاً، ويجمع بين

٧٩ - سورة المؤمنون، الآيات ١-١١.

العمـل والعبـادة الروحيـة والجسـدية والماليـة، وينـزّه نفسـه وأعضاءه عما لا يليق ؛ مما يؤكد على ضرورة تحلي الفرد بذلك وانسجامه النفسي والعضوي معه.

٩- الإصلاح؛ من خلال مشاركة الفرد بإزاحة الشوائب، والعمل على فلترة المجتمع من مظاهر الفساد بأنواعه، فيكون الحراك عاماً، والتغيير شاملاً، فهي تنقية تسبق التنمية؛ قال تعالى:(إنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) [٨٠]؛ لفاعلية دور الفرد في المجتمع، وقوة تأثيره في تغيير البيئة العامة وتطويرها، فالإنسان محور مهم وأساس في ذلك، يلزم البدء بإصلاحه لتنجح خطط التنمية كافة، والا كانت شعارية أكثر من كونها واقعية، كما يلزم أنْ تكون شاملة ومستدامة، فلا تقتصر على مجال دون آخر، علماً وعملاً، مع أولوية المعرفة في تنشيط عوامل التغيير وفاعليتها.

١٠- المعرفة؛ لما تمثله من دور كبير في تحقيق التطوير الشامل، وتجذيره في الفرد والمجتمع؛ لأنها من مقومات الاستجابة التي

---

٨٠ - سورة هود، الآية ٨٨.

تعتمد عليها التنمية ؛ بعد ما كانت موجبة للسكون والطمأنينة[٨١]، فتستقر في نفس الفرد المبادئ والقيم التنموية، وهو ما يحتاج الى العلم كركيزة للتلقي والتفاعل؛ قال سبحانه: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ) [٨٢]، متيحاً بذلك مساحة واسعة لتدوير المعرفة والعلم، وإنْ لم يدرك أهميتهما الا قليل؛ حيث يستدل أولو الألباب[٨٣] على ذلك بيُسر وسهولة، بخلاف غيرهم؛ ولذا توجه لهم الخطاب المعرفي؛ قال تعالى:(هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَاب مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلا بِالْحقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [٨٤]، مما العلاقة بين المعرفة والتنمية.

---

٨١ – ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٢٨١/٤.

٨٢ – سورة الزمر، الآية ٩.

٨٣ – ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٢٠٠/٥ :(اللب معروف من كل شيء وهو خالصه وما ينتقى منه ولذلك سمى العقل لباً، ورجل لبيب أي عاقل).

٨٤ – سورة يونس، الآية٣٥.

وجميع هذه المفاهيم العشرة، مما تعكس أنّ الإنسان قيمة كبرى ورصيد مجتمعي مهم؛ فأولاه الإسلام عناية فائقة؛ إذ سعى –بنصوصه القرآنية– لترشيده فكرياً ونفسياً وجسدياً، وأراد له ومنه النهوض على أساس الالتزام الكامل بالمبادئ الحقة، لينطلق الفرد في عملية التأهيل الكبرى من نفسه، ثم ينتجه لمجتمعه؛ بعدما كان –الإنسان– خليفةَ الله تعالى في أرضه، فهو أول بذرة في حقل التنمية الشاملة، لغرس مفاهيم المحبةِ والأخوةِ، والشهامةِ والشجاعةِ، والصلاحِ والفلاحِ، وغيرِها مما يبلور الحالة الفضلى، وينشط خلاياها، ويفعِّل دورها الذهبي في تكميل الإنسان وترصين سلوكه الشخصي والنوعي، حتى هيأ النبي الأعظم ﷺ فرصةً مهمةً للإنسان في ترتيب خياراته المتعددة وتنسيقها وفقاً للمقررات الصحيحة القويمة مما جاء به الثقلان –الكتاب والعترة– وأكدا عليه واهتما به؛ كما توضحه التطبيقات التالية في:

المبحث الثالث

تطبيقات تنموية من الحديث الشريف

أولاً: اختار رسول الله ﷺ لتنمية الإنسان، ما يعزِّز في نفسه روحَ المثابرة والعمل، و يثير لديه طموحات التأثير في غيره؛ ليكون محوراً يستقطب الآخر، ويهتم بأمره، وتبدأ عندها أولى خطوات إصلاح المجتمع داخلياً.

ثانياً: اهتمﷺ منذ البداية بتأسيس منظومة فكرية وأخلاقية متماسكة، من شأنها إحداث تغيير جذري في البنية العامة، مُرَسِخاً بذلك قيمَ الإنسانية، ومُرَشِداً لمفاهيم كثيرة مما ساد بين الناس قبله؛ فدعا الى مجتمع تسوده روح الأخوة والمودة، ونهى عن استغلال الآخر، وتغليب نزعات الأنا والمصالح، فيتحول الفرد الى آلة منتجة، أو أداة متحركة، كما حفّز مقومات الإرادة الكاملة للانسان، وأودعه مزيداً مما يكسبه المناعة الذاتية ضد ما يخترق إنسانيته من الداخل والخارج؛ لعلمه ﷺبقوة تأثير المحيط والبيئة في الفرد، وسرعة تأثره بهما، فلم يشأ أنْ يُسلمه لوحده في معتركٍ تزدحم فيه

الأحداث والحوادث، بل ساندَهُ وآزرَهُ، مبدياً كافة مظاهر الاهتمام والرعاية، وموفراً له ظروف الاستجابة الفاعلة لعوامل الإنقاذ وخطط الترشيد ومناهج التهذيب؛ مما يؤكد مواكبتهﷺ للمشكلة البشرية عن قرب، واتخاذه إجراءات الوقاية منها والسلامة فيها، وهذا ما كفل له فرصة نجاح أكبر مما اتخذته جهات أخرى؛ والسبب في ذلك- سوى المدد الغيبي- اهتمام النبي الأعظم ﷺبتقويم مسيرة الإنسان لأنه إنسان دون غرض مادي آخر، بينما كان غيره –من مختلف فعاليات المجتمع وأشخاصه- يخطط للانتفاع من الإنسان أو ابتزازه كثروةٍ، والشواهد الحية على ذلك كفيلة بتصويب هذه النظرة أو تخطئتها؛ فلم تغب عن ذاكرة المجتمع صورُ توريط الإنسان في الرذيلة؛ بحجة أنها وسيلة للشهرة أو الشهوة، كما لم تتوار عن مسرح الأحداث مناظرُ العنف؛ بذريعة القضاء على التطرف؛ فهذا وسواه أمارات تؤكد الحاجة الى الاحتكام لحاكمية الله تعالى، وضرورة الإلتجاء اليه في فصل الخصومات وفض النزاعات البشرية، وهو ما أوضح تعالى سبيله بقوله:(وَمَا آتَاكُمُ

الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ) [٨٥] في إشارة واضحة لضرورة التلاحم العضوي مع مفردات الخطاب النبوي، وعدم الحياد عنه؛ فمخالفته منافاة واضحة للتقوى المأمور بها.

ثالثاً: إنَّ من بنود ما آتانا به الرسول ﷺ، تمتين أواصر العلاقة بين الأفراد، وترسيخ قيم المحبة في النفوس، وتأصيلها كواحدة من أهم المفردات في محيط الحياة؛ فقد رُوي عنه ﷺ أنه قال:(خير الناس من نفع الناس) [٨٦]؛ منبهاً على ضرورة إشاعة مفاهيم التعاون والتآزر والعمل بروح الفريق الواحد، بما يحقق مضامين رسالة الإسلام؛ فقد رُوي عنهﷺ أنه قال:(المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلِمُهُ، مَنْ كان في حاجة أخيه كان الله عز وجل في حاجته، ومَنْ فرّج عن مسلمٍ كربةً، فرّج الله عز وجل عنه بها كربةً من كرب يوم القيامة، ومَنْ ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة) [٨٧]، ومَنْ انتهج الإسلام وتمثّله في حياته، فقد اتبع محمداً ﷺ، وضمن

٨٥ سورة الحشر، من الآية٧.

٨٦ شعب الإيمان، البيهقي ١١٧/٦ برقم٧٦٥٨.

٨٧ مسند أحمد ٢ /٩١، ونحوه في عوالي اللئالي -الأحسائي ١ -/١٢٨.

محبة الله تعالى ومغفرته له ؛ قال تعالى حاكياً عن نبيه ﷺ:(فاتّبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) [٨٨] ؛ ليتجسد ارتباط إيماني محكم بين ثلاثية المرسِل والرسول والمرسَل اليه.

وبهذا قد احتوى ﷺ ما للتنمية البشرية من بُعدين:

الأول: النمو الإنساني في مختلف المراحل؛ لتنمية قدرات الإنسان و طاقاته الروحية والعقلية والنفسية و البدنية و الاجتماعية؛ فيواجه متغيرات الحياة، عبر نظرة عميقة حكيمة، ولا ينكص عنها، بل يتواصل مع الآخر؛ لأنهما سوياً في طريق التكامل والتغلب على معوقات العمل؛ بعدما أدركا ضرورة الإفادة من المواهب المتعددة .

والبُعد الآخر-الثاني-:استثمار الموارد والأنشطة الاقتصادية المولِّدة للثروة والمحركة لعجلة الإنتاج؛ فتنمو قدرات المجتمع؛ عبر الاهتمام بتطوير هياكله البنيوية المؤسسية؛ لتتاح المشاركة لأوسع قاعدة جماهيرية في التنمية.

---

٨٨ سورة آل عمران، من الآية٣١.

وأنَّ مفهوم (خير الناس مَنْ نفع الناس)، جامع لهذين البُعدين؛ من حيث تنمية الإنسان و تفعيل طاقاته الإبداعية، مع تنشيط قدراته في الإنتاج والإعمار، لكن بدون الفصل بين الجانب الإيماني الروحاني عن البدني المادي؛ لما يشكلان من أطار عام يتحرك من خلاله الإنسان، فهو بحاجة الى تنميته فكرياً وصحياً ومهنياً وأُسرياً واجتماعياً؛ بحيث أنَّ بعضها لا يحقق الاستقرار المنشود، الذي حرصت الدراسات والبحوث والمؤتمرات على تحقيقه، والسر في ذلك؛ كون الإنسان خليفة الله تعالى في بلاده وبين عباده، فيجب التعاطي مع مشكلاته كوحدة مترابطة غير قابلة للتجزئة، وتُقترح الحلول في ضوء ذلك، و ليس بنظرة أحادية تجتزأ الوحدة المكونة من الروح والجسد، والذي بهما كان الإنسان إنساناً، يسعى نحو التكامل، ويحرص على تحقيق هدفه في الوصول إلى (جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) [٨٩]؛ لأنه(وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا

---

٨٩ سورة آل عمران، من الآية ١٣٣.

يَعْلَمُونَ) [٩٠]، والعاقل لا يفوّت دائماً بزائل، نعم يتعاطاه بقدر دفع ضرورته، ثم ينصرف عنه الى ماهو الأبقى، وبناءاً على هذا فسائر أهداف الإنسان في الحياة، لابد من تكييفها مع هذا الهدف؛ فالحصول على المال كهدف مثلاً، لابد من انسجامه مع غاية الوصول للجنة، وهكذا الجاه والسلطة وسواهما من أهداف، تنسيقها مع المقاييس والضوابط الثابتة؛ لئلا تتحول الى عقدة ، بعدما كانت حلاً، فلا يطلب الإنسان تطوير نفسه بما لا يتفق مع الثوابت العقلية أوالشرعية، بل عليه التأقلم معهما؛ ليضمن نجاته.

٩٠ سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

الفصل الثالث

التراحم في الحديث الشريف

التراحم وزان التفاعل، (تَراحَمَ القَومُ: رَحِمَ بَعْضُهم بعضاً)[٩١]، وهو من مشتقات مادة (الراء والحاء والميم، أصل واحد: يدل على الرقة والعطف والرأفة)[٩٢]، أو أنَّ (الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم ، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة نحو : رحم الله فلاناً، وإذا وُصف به الباري فليس يُراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة، وعلى هذا...أنَّ الرحمة من الله إنعام وإفضال ، ومن الآدميين رقة وتعطف) [٩٣] .

وهو من صفات الإنسان الكبيرة المهمة؛ إذ يلهم المتراحمين بعناصر البقاء و الارتقاء؛ حيث يملأ فراغاً نفسياً وروحياً كبيراً؛ لاستشعارهما بالسكون والاطمئنان، الى مَنْ بادله مشاعر المحبة

٩١ – تاج العروس – الزبيدي ٢٧٧/١٦ دار الفكر – بيروت ١٩٩٤م.

٩٢ – مقاييس اللغة – ابن فارس٢ /٤٩٨.

٩٣ – المفردات – الراغب الأصفهاني ١٩١ دفتر نشر الكتاب، ط:الثانية ١٤٠٤ هـ.

والمودة والعطف والحنان، فيحتفظ له بذلك في نفسه، ويتعامل مع غيره بتلك المشاعر؛ لأنها ما واجهه في تجربته الشخصية، بينما المجتمع الذي تسود فيه تصرفات معاكسة، تطفو عليه الكراهية والعنف والاستبداد والأنا والقسوة، ثم تنتقل بدورها تدريجا بين الأفراد، لتصبح ظاهرة مستديمة، وهو على العكس مما أراده الإسلام في مشروعه للتنمية البشرية، ليُشجع على التواصل والتلاحم بين الأفراد، فلا يستشعر أحدٌ مشاعر الغربة، أو يستوحش لموقف مّا؛ إذ احتواه مجتمعه وبدد مخاوفه.

واتساقاً مع هذا المبدأ كان الغرض مما رُوي عن رسول اللهﷺ، في التراحم، لكونه أفضل وسيلة للتعايش السلمي في المجتمع، بما يوجده من فرص نجاح الفرد في كسب الآخر، والعمل على المشتركات بينهما، وتطوير العلاقة معه وتنميتها ، بما يضمن أُلفته ومودته، ويمنع من حدوث ترسبات في العلاقة بينهما، ومن تلك الأحاديث الشريفة:

١. قولـهﷺ:(الراحمـون يـرحمهم الـرحمن، ارحمـوا مَـنْ فـي الأرض يرحمكم مَنْ في السماء...) (٩٤).
٢. وقولهﷺ:(إنما يرحم الله من عباده الرحماء) (٩٥).
٣. وقوله ﷺ:(مَنْ لا يرحم الناس لا يرحمه الله) (٩٦).
٤. وقولهﷺ:(مَنْ لا يَـرحم لا يُـرحم، ومَـنْ لا يغفـر لا يُغفـر لـه، ومَنْ لا يتب لا يُتاب عليه) (٩٧).
٥. وقولـهﷺ:(مَـنْ رحـم ولـو ذبيحـة عصـفور، رحمـه الله يـوم القيامة) (٩٨).
٦. وقولهﷺ جواباً لمَنْ قال له:أحبُّ أن يرحمني ربـي؟، :أرحـم نفسك، وأرحم خلقَ الله، يرحمك الله) (٩٩).

---

٩٤ – سنن الترمذي ٢١٧/٣ رقم١٩٨٩، جامع أحاديث الشيعة ٥٢٩/١٥ رقم ١٧٠٠.

٩٥ – مسند أحمد، ٢٠٤/٥.

٩٦ – مسند أحمد، ٣٥٨/٤، صحيح مسلم ٧٧/٧ .

٩٧ – المعجم الكبير، للطبراني٣٥١/٢.

٩٨ – المعجم الكبير، للطبراني ٢٣٤/٨، شُعب الإيمان، للبيهقي ٤٨٢/٧ رقم١١٠٧٠.

٩٩ – كنز العمال، المتقي الهندي ١٢٨/١٦.

٧. وقولهﷺ (ينادي مناد في النار:يا حنان يا منان نجني من النار، فيأمر الله مَلَكاً فيخرجه حتى يقف بين يديه، فيقول الله عز وجل: هل رحمت عصفوراً). [١٠٠]

٨. وقولهﷺ: (مَنْ لا يرحم مَنْ في الأرض، لا يرحمه مَنْ في السماء) [١٠١] .

٩. وقولهﷺ: (والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا رحيم، قالوا:كلنا رحيم، قال:لا، حتى تُرْحم العامةُ) [١٠٢] .

١٠. وقولهﷺ: (لن تؤمنوا حتى تحابّوا، أفلا أدلكم على ما تحابّوا عليه، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أفشوا السلام بينكم تحابوا، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا، قالوا:يا رسول الله كلنا رحيم، قال: إنه ليس برحمة أحدكم ولكن رحمة العامة رحمة العامة) [١٠٣] .

---

١٠٠ – المصدر نفسه ١٦٧/٣ رقم٥٩٩٢.

١٠١ – المعجم الكبير، الطبراني ٣٥٥/٢.

١٠٢ – كنز العمال، المتقي الهندي ١٦٧/٣ رقم٥٩٨٩.

١٠٣ – المستدرك، الحاكم النيسابوري ١٦٨/٤.

١١. وقولهﷺ:(لا يدخل الجنة منكم إلا رحيم، قالوا:يا رسول الله كلنا رحيم، قال: ليس رحمةَ أحدِكم نفسه وأهل بيته، حتى يرحم الناس) [١٠٤].

١٢. وقولهﷺ:(إنَّ الله رحيم، يحب الرحيم، يضع رحمته على كل رحيم) [١٠٥].

١٣. وقوله ﷺ:(خاب عبد وخسر لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمة للبشر) [١٠٦].

١٤. وقولهﷺ : (يا علي: اطلبوا المعروف من رحماء أمتي تعيشوا في أكنافهم، ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فان اللعنة تنزل عليهم، يا علي أن الله تعالى خلق المعروف وخلق له أهلاً، فحببه إليهم، وحبب إليهم فعاله، ووجه إليهم طلابه، كما وَجّهَ الماء في الأرض الجريبة ؛ لتحيى به، ويحيى بها أهلها، يا علي

١٠٤ - شُعب الإيمان، البيهقي ٤٧٩/٧ رقم ١١٠٥٩.

١٠٥ - كنز العمال، المتقي الهندي ٢٤٩/٤ رقم ١٠٣٨١.

١٠٦ - الجامع الصغير ٥٩٨/١ رقم٣٨٧٣.

إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة) [١٠٧].

وهي جميعاً تنمّي في الناس(أن يرحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان لا بسبب شئ آخر) [١٠٨]، وهو ما يشيع أجواء التواصل والتحابب، بما يوجب التعاطف وقت الشدة، والمواساة في الضائقة، ليكون وثيقة تأمين اجتماعي ضد التفكك وتخلي الفرد عن الآخر؛ حيث لا تصنع السلطة أو الجاه أو المال أو غيرها شيئاً، إزاء انفراج أزمة مّا، لكن العلاقات الاجتماعية تصنع كثيراً، ولا أقل من تخفيفها الألم النفسي؛ إذ كما قال رسول اللهﷺ(إن المؤمن ليسكن إلى المؤمن كما يسكن قلب الظمآن إلى الماء البارد) [١٠٩]، فلو لم تكن فائدة حسية، فروحية نفسية، تساعد على التخفف مما ألمَّ، ثم التفكير الصحيح في الخروج من المأزق، ومواصلة المشوار.

---

١٠٧ - المستدرك، الحاكم النيسابوري ٣٢١/٤ .

١٠٨ - فتح الباري، ابن حجر ٣٦٧/١٠.

١٠٩ - النوادر، الراوندي ١٠٠.

وهذه التنمية الروحية، وهي من أنواع التنمية في الإسلام؛ لأنها عملية تغيير نفسي وتطوير ذاتي؛ بتجذير الخصال الحميدة، والحث على رعايتها، ومواصلة تنميتها ، عبر الاتصاف الدائم بها وعدم إهمال الحاصل منها، ليأتي دور الرسول المبعوثﷺ مرشِداً وراعياً؛ حتى قالﷺ:(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (١١٠)، مما يؤكد وجود استعداد فطري لدى الإنسان للتفاعل الايجابي، لكنه لايستغني عن الموجِّه والمشرف، وهو إما مَنْ يصدر منه الخطأ، أو لا يصدر، ولما كان الأول مساوياً، فلا يستطيع أنْ يغير شيئاً ، فيتعين نهوض مَنْ لا يصدر منه خطأ بذلك التوجيه والإشراف؛ لأنه قد شهد له تعالى بقوله:(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (١١١)، وقوله:(وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ) (١١٢) وقوله:(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (١١٣)، وقوله:(وَمَا

١١٠ – السنن الكبرى، للبيهقي ١٩٢/١٠.

١١١ – سورة القلم، الآية ٤.

١١٢ – سورة التوبة، من الآية ٦١.

١١٣ – سورة التوبة، الآية ١٢٨.

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) [114] مما يبيّن أن الرسول الأعظمﷺ ذو خُلُق، وذو رأفة وذو رحمة، بل كانت الرحمة هدفَ إرسالهﷺ، حتى (سماه الله تعالى باسمين من أسمائه) [115]، وصارت تلك الصفات من خُلُقه؛ و(الخُلُق هو: المَلَكة النفسانية التي تصدر عنها الأفعال بسهولة، وينقسم إلى الفضيلة وهي الممدوحة كالعفة والشجاعة، والرذيلة وهي المذمومة كالشره والجبن، لكنه إذا أطلق فُهِمَ منه الخُلُقُ الحسن...، والآية وإن كانت في نفسها تمدح حسن خلقهﷺ وتعظّمه، غير أنها بالنظر إلى خصوص السياق ناظرة إلى أخلاقه الجميلة الاجتماعية المتعلقة بالمعاشرة كالثبات على الحق والصبر على أذى الناس وجفاء أجلافهم والعفو والاغماض وسعة البذل والرفق والمداراة والتواضع وغير ذلك) [116]، وسائر ما أدبه (الله به مما نزل به القرآن من الإحسان إلى الناس، والعفو، والتجاوز، وصلة الأرحام، وإعطاء النصفة، والأمر

١١٤ - سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

١١٥ - تفسير الرازي ٢٣٧/١٦.

١١٦ - تفسير الميزان، السيد الطباطبائي ٣٦٩/١٩.

بالمعروف، والنهي عن المنكر، وما أشبه ذلك...) [١١٧]؛ فلذا وُصِفَ في مقام تعريفه بما لا يفارقه من نعوته الخاصة، التي هي مدعاة لتأثر غيره بها، فتنتشر وتشيع بين الناس عامة؛ الأمر الذي يعكس بوضوح عظمة الخُلُق فيه، وأهميته لغيره، مما يُرجى منه أنْ يسهم في بلورة أفضل الصفات للأمة المتبعة لهﷺ؛ حيث قال تعالى:(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً) [١١٨]، فلابد من التأثر بسيرته، والعمل الجاد من أجل ترسيخ ركائز التنمية الروحية، وقيم الأخلاق في الفرد، وتعميمها في المجتمع، ليتربى عليها الجيل الناشئ، وينسجم معها، ولا يستغربها، بل يستغرب لو افتقدها يوماً، في وطنه أو في مهجره، فنضمن ترشيد الأفعال، والارتقاء بالإنسان الى مستوى التصرف مع الآخر لإنسانيته، وليس لمصالح ومنافع، لتتوحد الرؤى والأهداف، حول تعزيز موقع الإسلام في النفوس، وعكس صورة صافية عنه ونقاء أخلاقياته وما يفرضه من التزامات على المتدين، ليبين أنّه عقد

---

١١٧ – تفسير السمعاني ١٨/٦.

١١٨– سورة الأحزاب، الآية ٢١.

وثيق يرتبط المسلم من خلاله مع الخالق تعالى والمخلوقين؛ فلا يخون ولا يحيد عن مجموعة مبادئه كاملة غير مجزأة.

وفي مقدمة تلكم المبادئ التراحم؛ لحرصهﷺ على إشاعة أجواء الرقة والعطف والرأفة بين الناس؛ ليعتادوها وتكون من أولوياتهم الحياتية اليومية، التي ينقادوا بطباعهم اليها، ويألفوها تلقائياً من دون تكلّف وتطبّع، بل أنَّ التحشيد الروائي -المتقدم بعض نماذجه- لمما يعطي إشارات ذوات دلالات معمّقة، على ضرورة إفشاء التعاطف بين طبقات المجتمع، ونبذ العنف وعدم الترويج لمظاهره، والاستعداد النفسي للتسامح والتوافق وإبداء أوسع ما يمكن من المرونة وتقبّل الآخر؛ فجميع ذلك من الرحمة، وهي من صفاته تعالى، التي رغّب عباده على الاتصاف بها، وممارستها عملياً مهما وسع ذلك، وفي الجزئيات كلِّها، بمختلف أشكال التراحم والتعاطف، ومع جميع مَنْ يتعاطى معهم الإنسان، سواءاً مع الأسرة أم غيرها، من كبير أو صغير، ذكر أو أنثى، غني أو فقير، مسلم أو غيره، وغيرهم حتى الحيوان؛ لتنتشر أجواء التراحم،

ويتشكل المجتمع من لونه، حتى يبرز كظاهرة ايجابية في المجتمع، تستحق الفخر والاعتزاز.

و لما كانت التنمية البشرية، هي: عملية تطوير الكفاءات البشرية وتحسين أدائها في مختلف الميادين الحياتية، لتشارك في حصول عمليات تغيير نوعي في المجتمع، يسهم في الانسجام الاجتماعي.

أو أنها مقاربة تصحيحية متتالية على مدى الزمان ومختلف المكان، وصولاً للأفضل، فالتراحم يساعد على بلورة ذلك وتحقيقه بين الأفراد، و بمديات متسعة، لا تتحدد بظرف معين، بل أنَّ التراحم يوفر المناخ السليم لجهود التنمية كلِّها، ويغرس بذرة الارتقاء بالنفس والمجتمع؛ من خلال استشعار المسئولية في التغيير الايجابي، أو المشاركة الفاعلة فيه، والا فلا تتحقق الأماني المعقودة عليه بمجرد ضخ إمكانيات هائلة للتغيير، ما لم يسبقها تغيّر يُسهم في حصول الاستجابة لتلك النظريات، ولابد لهذا التغيّر أنْ يبتدئ من الفرد نفسه، دون أنْ يتلقاه جاهزاً من غيره؛ إذ للمشاركة الشخصية الفاعلة، الدور الكبير في التحوّل والتطور؛ فأنَّ المسئولية مشتركة بين

الجميع، ولا يلقيها قيام أحدٍ بذلك، فالوجوب عيني وليس بكفائي، لاسيما وأنَّ التماهل في ذلك والتعويل على الآخر، مما يقلص من حالات إبداع الفرد، ويدفعه نحو تلقائية الاستجابة لما يُملى عليه ويُطلب منه، مع أنَّ بوسعه المبادرة الى تحركٍ تصحيحي، يبدأه من الذات وينتهي بالآخر، فيكون ممارساً لدوره في معالجة نفسه بنفسه، ومشاركاً في معالجة غيره، فكان ذا نشاطٍ متميز، بما يُسجل له.

وأنَّ المقارنة بين أسلوب التنمية البشرية النبوية وسواها، توضح اعتماد الرسول الأعظمﷺ على الإنسان كعنصر فعّال في صنع النجاح، فيكون بنفسه لنفسه ولغيره، ليتولد التغيير عبر معاناة واحساس، فيشعر الإنسان بقيمة ما صنع، ولا يتخلى عنه، كما لا يفرِّط فيه، بينما سائر أساليب التنمية -على أهميتها- قد اعتمدت كثيراً على الحكومات ومراكز صنع القرار، وهو ما يخدش صفاء التجربة، ويؤممها لصالح جهة ماّ، فيفقد الإنسان قوة حراكه في عملية التغيير، وقد يضعف أمام قوة المؤثرات والفعاليات الأخرى، فيستسلم للإملاءات، بدون أنْ يحقق لذاته شيئاً يذكر، وهذا ما تلافاه الرسول الأعظمﷺ في رؤيته التنموية؛ فقد بدأ بالإنسان لينتهي به،

فجعله محوراً حيوياً ، تدور حوله عملية التغيير والإصلاح، ويمكنه التأقلم مع سائر الشعوب أو الأمم، لكن كان أسلوب غير الرسول الأعظمﷺ، يعتمد التغيير الناتج عما تقوم الحكومات أو الجهات الأخرى، مع أنه مهما كان فهو بلا إرادة بل يُفرض على الفرد ، فهو لم يغيّر ما بنفسه، حتى يغيّر الله تعالى ما بمجتمعه، لكنه سبحانه قد وعد التغيير بشرط التغيّر، ولابد من أنْ يكون الإنسان فاعلاً وليس أداةً لفعل غيره، فيتحمل التبعات، وقد لا تكون جميع الخيارات مطمئنة.

نعم، لا يعني رشادُ رؤيته ﷺ وسدادُها، انعكاسَ ذلك على الأمة بكاملها؛ لأنَّ التراحم فعل اختياري للإنسان، وهو مرهون- كبقية الأفعال الاختيارية- بحصول إرادة الإنسان الجادة للتغيير، ليستتبع ذلك منه تحرّكاً وفعلاً، والا فلا يجبر على شئ من ذلك؛ (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ) [١١٩] ؛ ولذلك جاء الوصف القرآني للذين معه ﷺ في قوله تعالى:(محمد رسول الله

١١٩ - سورة الأنفال، الآية ٤٢.

والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)[١٢٠]؛ بما ينبئ عن اتصافهم هم بذلك، دون أنْ يكون بإلقاء وجعل، والا فلا فضل لهم ليوصفوا به.

ومن هنا تتفاوت مستويات الناس في التنمية؛ بسبب اختلافهم في التعاطي والتفاعل، مما يُحدث نسبيةً في النتائج، فكان حسم ذلك بتحفيز الفرد ذاته ليكون منتجِاً تنموياً عبر تحلّيه بصفات ايجابية، ثم تدويره لها مجتمعياً، لتتوزع القوى الفاعلة في المجتمع وتعمل على التغيير بخطة دقيقة متوازنة، يُدرك الإنسان من خلالها فن النجاح، ويتعافى مما اجتاحه من تراكمات ازدحمت في طريق الحياة، حتى ضبّبت الرؤية، وحالت دون الوصول الى معالجات مفيدة، و ها هو الرسول الأعظمﷺ يوفّر الحلول، لكنها تبقى رهن الاحتكام اليها، والإفادة منها، والا فلا ملزم بها الا إذا قرر الإنسان الأخذ بها؛ ولهذا حثّﷺعلى التراحم، كوسيلة لتحقيق التنمية الشاملة ذات الكفاءة على امتصاص الأزمات وحل المشكلات البشرية؛ لأنَّ بالتراحم يسمو الإنسان ويترفع عن أنْ يَظلم أحداً، أو

١٢٠ – سورة الفتح، من الآية ٢٩.

يتعدى عليه بشئ مهما كان، وبذلك قد توافر المجتمع على تغييرٍ نوعي لكفاءاته البشرية، وتحسينٍ تدريجي لأدائها في مختلف الميادين الحياتية، فيسهم الجميع في الانسجام العام، فكان التراحم بداية التنمية البشرية المنشودة، والحمد لله ربِّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

الفهرس